جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: الثانية

مادة: الادب الإسلامي

محاضرة: ظواهر عامة في الشعر الاسلامي

مدرس المادة: م.م. زبيدة ماهر صالح

المحاضرة: الاولى

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

شموله الشعر والنثر :

لقد كانت الحياة العربية قبل الاسلام مدعاة لنشاط الشعراء والخطباء. ووصف العرب بالبلاغة واللسن وقوة العارضة، وكان فيهم البلغاء والخطباء. واذا كانت النصوص الادبية للخطابة خاصة مدعاة شك ونقاش، فإن جوهر الأمر لا يتجاوز الشك في صحة هذه النصوص مع الإقرار بوجود الظاهرة، والأمر كذلك مع ظاهرة الكتابة التي ثبتت معرفة العرب لها قبل الاسلام مع فقدان النصوص النثرية.

أما الملاحظة التي نلحظها في أدب صدر الاسلام، والتي غدت ظاهرة تستحق الدراسة فهي شمول الأدب الإسلامي الشعر والنثر. وكان حظ النثر في هذا العصر اكثر من حظه في الجاهلية لتوافر دواعي نشاطه أولاً، ولوصوله الينا ثانياً بسبب اقترانه باحداث تاريخية أو وقائع اقتضت تسجيله، كما أن وصول كثير من خطب هذا العصر ورسائله كان بسبب ارتباطهما بشخص الرسول (صل الله عليه وسلم) ، وطبيعه الدعوة ثانياً مما اقتضى تسجيلهما في السيرة النبوية، وفي سير الصحابة رضوان الله عليهم.

لقد نشطت الكتابة والخطابة نتيجة الحاجة اليهما دفاعاً عن الدين الاسلامي أو وسيلة لنشره ولتبليغ القبائل والدول المجاورة به ودعوتها الى الاسلام حتى قيل أن رسول اتخذ له كاتباً في مكة قبل الهجرة النبوية ثم كانت وقائع الفتوحات محفزاً كبيراً لتنشيط الخطابة والكتابة، ووجدنا بعض الباحثين يبالغ في اظهار تطور النثر في هذا العصر حتى يعده متفوقاً على الشعر، مؤدياً دوراً أكبر منه، يقول محمود مصطفى: (فلما جاء الاسلام صارت الدولة للنثر لانه هو الموافق للجد الذي أخذ العربي في سبيله، فدعا به النبي الله قومه الى الاسلام، وراسل به الملوك، وكتب به العهود، وشرح به الدين، وكذلك فعل أصحابه).

واذا ابتعدنا عن المبالغة قليلا، نقول إن الدولة لم تكن للنثر، وانما تطور النثر واتسعت آفاقه بعد ظهور الاسلام، فصارت له دولة كما كان للشعر دولة وذلك

ب – ضياع كثير من الأشعار :

ويشمل هذا الضياع شعر المسلمين والمشركين على السواء. أما شعر المسلمين فسنجد في دراسة واقع الحركة الشعرية أن الشعر أدى مهمات كبيرة في الدفاع عن الدعوة الإسلامية، وأن الشعراء اختلفوا في أساليبهم الفنية، والأفكار التي نافحوا فيها عن الدعوى بين مرسخ المبادئ الإسلام، وهاج على الطريقة الإسلامية. فأما الشاعر الإسلامي فقد استغل الهجاء أحيانا بذكر المثالب رداً على ما كان يذكره المشركون في هجائهم. فإننا نتوقع طمس أشعاره بعد استقرار الأمور، وانتشار الإسلام، ودخولعتاة قريش إلى الاسلام، ولم تبق إلاإشارات أو مطالع

لهذا الشعر . وأما شعر المشركين فضياعه طبيعي لما فيه من سب وشتم للرسول الله مما دفع الرواة إلى إهماله وعدم روايته. وهذه الظاهرة ستتضح لنا في دراسة شعر المشركين بصورة خاصة.

ج الانتحال :

هناك ظاهرة مهمة تخص الشعر المنحول الذي وضع على ألسنة بعض الشعراء واقدم من وقف عند هذه القضية وحللها تحليلاً علمياً هو ابن سلام المتوفى سنة (٢٣١ (هـ) في كتابه طبقات فحول الشعراء، حيث أشار الى بعض اسباب الوضع والانتحال منها :

١ – اسباب سياسية ودينية : لقد وضعت على لسان حسان بن ثابت أشعار كثيرة اراد بها أصحابها ان يكسبوا قضية سياسية في جعل شاعر الرسول (ﷺ) يقول فيهم أشعاراً أو ليخففوا بعض الشئ من وقع ابيات هجاء قالها فيهم حسان ايام شركهم. يقول ابن سلام وقد حمل عليه مالم يحمل على احد، ولما تعاضهت قريش واستتبت وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تنقى) .

٢ ويمكن ان نلمح سبباً فنياً ساعد على كثرة الوضع والانتحال وهو ان الشعر المنتحل انما وضع على لسان شعراء قريش وشعرهم ليس فيه سمة خاصة تمنحه الهوية الفنية بحيث يصعب تقليده والزيادة عليه، وإنما هو شعر لين) وأشعار قريش أشعار فيها لين، فتشكل بعض الاشكال)

كان من اسباب الوضع والانتحال وجود رواة غير ثقات برواية الشعر يجهلون موارده، ولا يهمهم من الشاهد إلا الحدث التاريخي سواء كان صحيحاً أوغير صحيح، وهؤلاء لا يصلحون الرواية الأشعار لأن الشعر كما يقول ابن سلام (صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر اصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الاذن، ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان). وبعد أن فصل الإسلام في الموهبة التي يجب أن يمتلكها راوي الشعر وناقده وقف وقفة طويلة عند ابن اسحاق مؤلف سيرة النبي (ﷺ) فوصفه بأنه ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه، وأنه كان من علماء الناس بالسير والأخبار حتى قال عنه الزهري : ما يزال في الناس علم ما بقي مولى ابن مخرمة يعنى ابن اسحاق، وأنه كان أكثر علمه بالمغازي والسير ، وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر، أتينا به فأحمله. وقد ذكر ابن سلام أسباب رفضه كثيراً مما رواه ابن اسحاق وعده شعراً منتحلاً منها :

١ – أن ابن اسحاق كتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال وعلق في موضع آخر على شعر نسبه ابن اسحاق لابي سفيان بقوله (ولئن لا يكون لهم شعر أحسن من أن يكون ذلك لهم).

٢– إن ابن اسحاق روى شعراً لعاد وثمود، فكتب لهم أشعاراً، وليست بشعر ، وإنما هو كلام مؤلف، ومعقود بقواف. ثم اجمل رفضه لهذا الشعر بما يأتي :

أ– نص الله تعالى على أن أقوام عاد وثمود قد أهلكوا ، ولم تبق منهم باقية فمن روى أشعارهم.؟ (٥٢) والله تعالى يقول: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ﴾ [النجم: ٥٠–٥١] وقال تعالى في عاد ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٨].

ب– أن أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه اسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما، ويعلق بعد ذلك ابن سلام رافضاً الشعر المنسوب لعاد وثمود) فنحن لا نقيم في النسب مافوق عدنان، ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعراً فكيف بعاد وثمود) .

ج –ان أبا عمرو بن العلاء قال : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف بما على عهد عاد وثمود، مع تداعيه ووهيه .

د– إن الشعر المنسوب لعاد وثمود ليس بشعر ؛ لضعفه، ولكونه لا يدل على علم فلو كان الشعر مثلما وضع لابن اسحاق، ومثل ما روى الصحفيون، ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم ، ونستطيع ان ندرج ضمن الشعر المنحول بعض الأشعار المنسوبة الى الأحناف أمثال ورقة بن نوفل، وأمية بن أبي الصلت، خاصة تلك الأشعار التي تجاوزت فكرة التوحيد الى نظم آيات القرآن الكريم، والصور الواردة فيه.

فقد نسب ابن اسحاق شعراً لورقة بن نوفل يقول فيه:

فان يك حقاً يا خديجة فاعلمي

حديثك إياناً فأحمد مرسلو

أما شعر أمية بن أبي الصلت فقد درس الباحثون ظاهرة الانتحال فيه التي يمكن أن تدرك بسهولة في الأشعار التي حاكت القرآن الكريم، وقلدت صوره بألفاظه وتعابيره، مع وجود شعر صحيح النسبة اليه

د– شعر غير منسوب:

أما الشعر غير المنسوب فهو موجود في شعر الدعوة الاسلامية، اذ حفظت الذاكرة العربية كثيراً من الأبيات والمقطوعات التي لم تسجل اسماء شعرائها، لان ما يعني الذاكرة تسجيل الحادث او الموقف الذي اقتضى التمثل بشعر قيل فيه كما هو الحال في شعر الفتوحات الاسلامية مثلاً، إذ نجد عبارة مكررة ترد في كتب الادب والتاريخ وهي : قال رجل وقال اعرابي، وقال بعضهم، مما سيرد في موضوعات شعر الفتوحات الاسلامية في هذا الكتاب.

هـ – اختلاف نسبة الأبيات:

وهذه ظاهرة واضحة في دراسة كثير من الأشعار في عصر صدر الإسلام في فجر الدعوة أولاً، وفي شعر الفتوحات الإسلامية ثانياً، فنظرة إلى ديوان حسان بن ثابت أو كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة (٥٩). تطلعنا على وجود أشعار اختلفت نسبتها بينهم، فنجد في السيرة، وفي كتب التاريخ ما يؤيد اختلاف نسبتها بقوله، وتروى، أو وقيل. ومرد هذا الاختلاف إلى تشابه الظروف التي قيلت فيها الأشعار، أو إلى تشابه الأفكار التي ملكت الشعراء آنذاك، فأوردوها في أشعارهم. فقول عبد الله بن رواحة:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله

روي منسوباً لعمار بن ياسر . فمن أهم أسباب الاختلاط هو ورود المعاني الإسلامية والإشارة إليها في القصيدة أو المقطوعة، فالصراع بين النبي له وخصومه إنما قام حول الإسلام وبسببه. ومن هنا وردت المعاني الدينية عند كثير من شعراء الصراع فلما انتهى شعرهم إلى الرواة اضطربوا فيه، فخلطوا في نسبته إليهم كما يقول د. كمال جبري ، وقد سميت هذه الظاهرة الاختلاط وهي الانتحال، إذ يبرز فيه تنازع نسبة النص إلى شاعرين أو أكثر، وأن هذا لا يقدح في صحة الشعر واصالته وإنما يقدح في نسبته إلى شاعر بعينه

و –ضياع شعر المشركين:

إن ظاهرة ضياع شعر المشركين تفرض نفسها حين يود الباحث البحث في أدب صدر الاسلام، وذلك بسبب قلة ما وصل الينا من الشعر الذي قاله الكفار في الرد على المسلمين. فمن المعروف ان ظهور الاسلام كان اكبر حدث فكري وسياسي هز العرب وأثارهم، فانقسموا على قسمين: حزب يدعو الى الله ورسوله، ويدافع عنه شعراؤه بكل ما أوتوا من قوة بيانية، وحزب آخر وهم الاكثرية في بداية الدعوة الاسلامية يتمثلون بقريش وجبابرتها والقبائل العربية التي كانت قريش تؤلبها وتثير فيها الضغائن هذه المعارضة الكبيرة وجدناها في الشعر المنسوب الى شعراء مسلمين ولابد ان يكون شعر المشركين قد قالوا شعراً كثيراً، ولكنه لم يصل الينا، ولهذا الضياع